

معالم التجديد للعمل الجماعي بديع الزمان النورسي نموذجاً

الأستاذ إحسان قاسم الصالحي
مركز رسائل النور - استانبول

توطئة:

ربما يرد بالبال سؤال: ما موقع رسائل النور في ملتقى الأصالة والتجديد في مناهج البحث؟
أقول باختصار شديد:

بعد سقوط الدولة العثمانية سقطت جميع الأسوار التي كانت تحافظ على الشعائر الإسلامية، فحُرم الناس من اللغة العربية بل حتى من القرآن الكريم، ناهيك عن المصادر الإسلامية.

نعم بعد انهيار كل الصروح التي كان يتحصن فيها الإسلام والإيمان، قيض الله سبحانه وتعالى رحمةً منه وفضلاً بديع الزمان سعيد النورسي ليرفع راية إنقاذ الإيمان، فألف في غضون ربع قرن من الزمان في السجون والمنافي "رسائل النور" التي استلهمها من فيض القرآن الكريم.

فهي تضم بين دفتيها منهجاً روحياً فكرياً متكاملًا.. فهي منهج جديد في عرضها وأصيلة في استنادها واستفاضتها من القرآن الكريم مباشرة. أي أنها تجديد أصيل أو أصالة جديدة، حتى وجدت فيها الأمة ضالتها فاستمكت بها وأنزلتها في واقع حياتها اليومية.

مقدمة:

قبل الخوض بالبحث عن بعض الجوانب التجديدية عند النورسي لا بد من معرفة الظروف التي عاش فيها وتعامل معها.

فقد ولد بديع الزمان سعيد النورسي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، في مطلع القرن الهجري الماضي 1293هـ (1876 م)، وجاهد الروس على رأس فرقة الأنصار في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى. وقاوم استيلاء الأجانب من الإنكليز والفرنسيين واليونان والإيطاليين على مناطق مختلفة من تركيا.. وعاصر حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وعاصر المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة 1922م حيث وضعت قوانين واتخذت قرارات .

ولم ينج من شرارة الفتن والاضطرابات ف قضى طوال ربع قرن من حياته بين نفي وسجن ومحاكمة وإقامة إجبارية حتى توفاه الله سنة 1960. و بفضل الله سبحانه كان في خضم هذه الأحداث الجسام كلها معتصماً بالقرآن الكريم.. إذ يقول عن نفسه:

"... صرفت كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة سعيد الجديد.. أخذتني الأقدار نفيًا من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها "رسائل النور". إنها انبعثت حقًا من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاره وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استسخها¹، لأنني على يقين أن لا سبيل

¹ أي الإستساح اليدوي حيث كانت الحروف العربية محظورة

إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمانة بالاستتساخ والنشر...²

منطلقات التجديد:

لمعرفة أبعاد منهج رسائل النور التي هي تفسير شهودي للقرآن الكريم في التجديد أرى ضرورة بسط الكلام في منطلقات التجديد، ولكني سأذكر ثلاثة فقط من بين العديدة منها:

1- شهود الآيات باتحاد العقل والقلب:

رسائل النور تدفع قارئها إلى قلب القرآن الكريم، حتى تجعله في حضور دائم مع الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنها تنطلق مباشرة من التدبر في:

أولاً: القرآن الكريم المقروء، ذلك الكتاب المبين.

ثانياً: القرآن المجسم المنظور، هو هذا الكون الذي هو بمثابة كتاب كبير مجسم وقرآن مشهود، إذ ليس في الموجودات من شيء إلا هو لفظ مجسم يُفصح عن معاني جليّة، بل يستقرئ أغلب أسماء صانعه البديع³. فكما أن صفة "الكلام الإلهي" تعرّف الذات الأقدس سبحانه وتعالى بالوحي والإلهامات، فإن صفة "القدرة الإلهية" كذلك تعرّف ذاته جلّ وعلا بأثارها البديعة التي هي بمثابة كلماتها المجسّمة التي تصف قديراً ذا جلال، وتعرّفه بإظهارها الكون من أقصاه إلى أقصاه بماهية فرقان حكيم مجسم. حيث إن كل موجود في العالم، لفظ مجسم حكيم⁴ فيغدو الكون بأسره عبارة عن مكاتيب إلهية بليغة وقرآن رباني مجسم ومعرض آثار سبحانية مهيب⁵.

ثالثاً: القرآن الناطق، وهو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم⁶، الذي وصفته أمنا عائشة رضي الله عنها "كان خلقه القرآن"⁷. أي أن محمداً صلى

² الشعاعات ص 541-542

³ الكلمات ص 237

⁴ الشعاعات ص 210، الشعاعات ص 260

⁵ الشعاعات ص 666

⁶ الكلمات ص 254. المثنوي العربي النوري ص 55

⁷ جزء من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه مسلم 746 واحمد 54/6، 91، 163 وأبو داود 1342 والنسائي 199/3. 200 والدارمي.

الله عليه وسلم هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن الأخلاق. ومن هنا يصل قارئ الرسائل إلى اكتشاف نظائر الحقائق القرآنية والمعاني الدقيقة لأسماء الله الحسنى التي يتلوها في القرآن الكريم، يكتشفها في كتاب الكون القرآني المنظور، مثلما يجد مصداقها في السيرة المطهرة للرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم. فيتناغم الوجود في روحه وقلبه وعقله. حيث إن النورسي بما أفاض الله على قلبه من نور القرآن الكريم يجول ويصول في هذا الميدان ببصيرة نفاذة، وقدرة عجيبة بدمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية؛ فيقدم حلولاً وإرشادات في أعقد الأمور الحياتية والإيمانية والغيبية في بلاغة راقية وأسلوب رشيق، تأنس به العقول وتطمئن به القلوب.

ولكي يكون أسلوبه جامعاً لجماح العقول وشروود القلوب، فقد أودع الله فيه قدرة على الاستشهاد بـ"الأمثلة" المقنعة القربية من العقل والقلب معا، ومنحه قوة المنطق الفطري والبرهان العقلي والأدلة المقنعة وإقامة الحجج القوية في معالجته الأمور الغيبية الإيمانية.

لذا كانت رسائل النور المفسرة للقرآن الكريم بلغة العصر "كينونة فكرية وروحية متكاملة"⁸ وتلميذة أمينة من تلامذة القرآن الكريم، فهي "لا تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته- كما هو لدى الفلاسفة والمتكلمين- ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أدواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح والطائف الأخرى"⁹.

علماً أن منهجها القرآني هذا لا يصطدم مع أي منهج من تلك المناهج مباشرة، ولا يلغيه، "ولا يفرض بالضرورة البداية الصفيرية في المعرفة التربوية والنظرية، فضلاً عن المعركة الحضارية، بل يقتضي استثمار كل ما من شأنه أن يفيد في بيان الحقائق الإيمانية المستقاة من القرآن الكريم"¹⁰.

⁸ النورسي في رحاب القرآن للدكتور عشريني سليمان ص 5، شركة سوزلر للطباعة والنشر - القاهرة 1999

⁹ الملاحق / ملحق قسطنوني ص 105

¹⁰ بديع الزمان النورسي وأثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) للدكتور عمار جيدل ص72، مطبعة النسل - استانبول 2001.

2- التعامل مع تجليات الأسماء الحسنى:

يصح لنا أن نقول: إن التعامل مع معاني تجليات الأسماء الحسنى في الأنفس والأفاق هو لحمة رسائل النور وسداها. ذلك لأن "حقيقة كل شئ تستند إلى اسم من الأسماء أو إلى كثير من الأسماء الحسنى. وأن الإلتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، حتى إن علم الحكمة الحقيقي يستند إلى اسم الله "الحكيم" وعلم الطب يستند إلى اسم الله "الشافي" وعلم الهندسة يستند إلى اسم الله "المقدر" .. وهكذا كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وينتهي إليه.."¹¹.

ومن هنا نجد أن الرسائل تعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق والتاريخ وتفاصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي وغيرها، في ظل مقدار التمثل لتجليات تلك الأسماء الحسنى، لأن الكون في فطرته، ومن خلال كل جزء من أجزائه، يسير في ضوء تلك التجليات. فالموجودات كلها إنما هي مظاهر لتلك التجليات..¹²

أسوق هذا المقطع من رسائل النور نموذجاً لقراءة الكتب الثلاثة، والتعامل مع تجليات الأسماء الحسنى، ولبيان مدى ارتباط الحقائق القرآنية والداستير النبوية بحقائق الكون. وكيف أن الخطاب موجه إلى العقل والقلب معا:

"كما تتوجه تسميحات المخلوقات جميعها إلى اسم الله "القدوس" وترنو إليه، كذلك يستدعي اسم الله "القدوس" نظافة تلك المخلوقات وطهارتها حتى عدّ الحديث الشريف "النظافة من الإيمان" الطهور نوراً من أنواره لارتباطه القدسي هذا، وأظهرت الآية الكريمة أن الطهر مدعاة إلى المحبة الإلهية ومدار لها، في قوله تعالى: (إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين)."¹³

أيها الإنسان المسرف الظالم الوسخ!

¹¹ الكلمات ص 749

¹² الكلمات ص 290، ص 749

¹³ البقرة: 222.

اعام، أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودسلتير إلهية شاملة تدور رحي الموجودات عليها لا يفلت منها شيء إلا أنت أيها الشقي..

نعم، إن الحكمة العامة المهيمنة في الكون والتي هي تجل لأعظم لاسم الله "الحكيم" إنما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الإسراف، بل تأمر بالاقتصاد. وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم الله "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل.

وان ذكر الميزان أربع مرات في "سورة الرحمن" إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمتها العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)¹⁴

نعم، فكما لا إسراف في شيء، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شيء، ولا بخس في الميزان قط، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم "القدوس" يعرض الموجودات بأبهى صورتها وأبدع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبحا أصيلاً في شيء ما لم تمسه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عرافة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذوراً عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعري وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته.

ومثلما تستلزم هذه الحقائق المحيطة بالكون، وهذه الأنوار العظيمة الثلاثة (العدالة والاقتصاد والطهر) الحشر والآخرة فهناك حقائق محيطة معها: كالرحمة والعناية والرقابة، وأمثالها مئات من الحقائق المحيطة والأنوار العظيمة تستلزم الحشر وتقتضي الحياة الآخرة، إذ هل يمكن أن تتقلب مثل

¹⁴ الرحمن: 7-9.

هذه الحقائق المهيمنة على الموجودات والمحيط بالكون إلى أضعافها بعدم مجيء الحشر وبعدم إقامة الآخرة، أي أن تتقلب الرحمة إلى ضدها وهو الظلم، وتتقلب الحكمة أو الاقتصاد إلى ضدهما وهو العبث والإسراف، وينقلب الطهر إلى ضده وهو العبث والفساد. حاش لله..¹⁵

3- الخطاب موجه إلى النفس الإنسانية:

لقد جاء خطاب الأستاذ النورسي موجهاً إلى نفسه بالذات أولاً¹⁶ ذلك لأن "النفس الإنسانية" هي واحدة في جوهرها، وواحدة في أسباب صحتها ومرضاها، كالجسد تماماً، فإذا كانت الأمراض التي يمكن أن تصيب جسد "زيد" هي نفسها التي يمكن أن تصيب جسد "عمرو" وأن ما يفيد "زيداً" من دواء يفيد "عمرواً" أيضاً، فكذلك فإن أمراض "النفس" هي واحدة لدى جميع البشر مع بعض الفروقات بين نفس ونفس. فالعلاج الذي استعمله "النورسي" لنفسه قد يفيد أي إنسان آخر يعاني ما كان يعانيه "النورسي" من نفسه، وهو يقول بهذا الصدد:

"ولا تخف من تمرد النفس، لأن نفسي الأمانة المتمردة المتجبرة انقادت، وذلك تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق، بل شيطاني الرجيم أفحم وانخنس.. كن من شئت، فلا نفسك أظعي وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني".¹⁷

ومن هنا كان خطاب النورسي ليس موجهاً إلى المسلمين وحدهم بل إلى الإنسانية عامة، فمثلاً يستفيد منه المسلم يستفيد منه غير المسلم كذلك .

موضوع البحث:

كنت أود أن أتطرق إلى الدور التجديدي لرسائل النور في ثلاثة جوانب من بين جوانبها الكثيرة :

- 1- الدور التجديدي في الجانب العلمي
- 2- الدور التجديدي في الجانب التربوي

¹⁵ للمعات ص 522، 525-526

¹⁶ الملاحق / ملحق قسطنوني ص 105

¹⁷ المثنوي العربي النوري ص 34

3- الدور التجديدي في العمل الجماعي

أما الدور التجديدي في الجانب العلمي فلقد أُشبع بحثًا وتنقيبًا ودراسةً ومناقشةً من قِبَل علماء أفاضل وأساتذة متخصصين وباحثين مفكرين من العالم العربي والإسلامي والإنساني بمختلف الجنسيات وبمختلف الأديان وذلك في عشرات الملتقيات والمؤتمرات التي نظمتها جامعات أو مؤسسات علمية في شتى أقطار العالم.

فمجموع البحوث التي أُلقيت ونوقشت في جميع هذه المؤتمرات والندوات والملتقيات، يدور حول "الدور التجديدي في الجانب العلمي لبديع الزمان سعيد النورسي". حيث إن كل عالم فاضل قد أدلى بدلوه من جانب اختصاصه العلمي وأجاد، ونشرت تلك البحوث في مجلدات باللغات العربية والتركية والإنكليزية. لذا لم يبق لي مزيد كلام في هذا الموضوع، فأترك الكلام لأهله فهم أحق بالكلام فيه. إلا أنني أقتبس ما خلص إليه الدكتور كولن تورنر من جامعة دورهام - انكلترة في مؤتمرين متعاقبين، وهو هذه العبارة الموجزة المعبرة:

"إنني أعتقد بأن رسائل النور هو المؤلف الإسلامي الوحيد الذي يقدم الكون كما هو، ويفسر القرآن كما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقدم العلاج الشافي للإنسان الحديث الذي سيطرت عليه الأمراض الخطيرة. لذا فإنني أرى أن بديع الزمان يستحق لقب المجدد"¹⁸.

وأما الدور التجديدي في بناء شخصية الإنسان السوية فقد كان بحثي الذي أُلقيته في الملتقى الدولي الأول "الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر وتركيا" الذي أقامه مخبر أصول الدين بجامعة الجزائر¹⁹.

الدور التجديدي في العمل الجماعي

إن تفسير رسائل النور خزينة مملوءة بالقراءات والأصول التي تسدد مسيرة الجماعة وتوجه المجتمع إلى سواء السبيل، ومهما بالغنا في الإيجاز، يصعب علينا درجها جميعاً هنا، إلا أننا نكتفي بذكر ستة أصول منها فقط:

¹⁸ المؤتمر العالمي الثاني " بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم

الإسلامي في القرن العشرين" في 27 - 29 أيلول 1992 استانبول - تركيا

¹⁹ في 22 من أكتوبر 2001م

أولاً: العمل الإيجابي الخالص:

يوضح الأستاذ النورسي العمل الإيجابي بالآتي:
 "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام.
 والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو
 موكول أمره إلى الله.

إننا مسلمون مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة
 تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن
 والاستقرار الداخلي في البلاد".²⁰

نعم ، العمل بمقتضى مرضاة الله هو العمل الإيجابي، والعمل لغير وجهه
 الكريم للنفع والرياء أو ما شابه فهو العمل السلبي.. والتوكل على الله وترقب
 النتيجة منه وحده هو الإيجابي، والمداخلة لتدبير الله وشؤونه هو السلبي..
 والمحافظة على أمن المجتمع ووحدته هو الإيجابي، وإثارة الخلاف والإخلال
 بالأمن والنظام الداخلي واستعمال وسائل في سبيل زعزعة أركانه، تحت أي
 إسم كان هو السلبي.

ثانياً: الانقياد لشريعتي الله:

يقول الأستاذ النورسي: "الشريعة اثنتان:
 إحداهما: هي الشريعة المعروفة لنا، التي تنظم أفعال وأحوال الإنسان،
 ذلك العالم الأصغر، والتي تأتي من صفة الكلام الإلهي.
 الثانية: هي الشريعة الكبرى الفطرية، التي تنظم حركات وسكنات العالم،
 ذلك الإنسان الأكبر، والتي تأتي من صفة الإرادة الإلهية".²¹

ويعلل أن عدم مراعاة المسلمين عامة القوانين الكونية أي الشريعة الإلهية
 الفطرية في أمورهم هو أحد أسباب تخلفهم في الوقت الحاضر وظهور
 الآخرين عليهم. لذا ينالون جزاء عصيانهم لهذه القوانين عقوبة في الدنيا
 لأنه: "كما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك
 هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالباً ما يرى الأول - مطيع

²⁰ سيرة ذاتية ص 469

²¹ المكتوبات ص 613

الشرعية والعاصي لها - جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني - مطيع السنن الكونية والعاصي لها - غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة والتفاسس الذل والتسفل. كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلب. مثلما أن نتيجة السم المرض، وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية...²².

يفهم من هذا أن السنن الكونية الإلهية، شريعة الله الفطرية وقوانينه النافذة سارية في الكون كله جارية على المؤمن وغير المؤمن، فلا بد إذن من مراعاتها والالتزام بها لأنها أوامر إلهية كونية كالأوامر الشرعية المعروفة، أي: أن من التزم بها يبلغ مراده مؤمناً كان أم غير مؤمن، ومن خالفها يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة مؤمناً كان أم غير مؤمن.

وبناء على هذا يقول الأستاذ النورسي:

"إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر"²³.

ثالثاً: التدرج الفطري وترك الاستعجال:

وهو أساس من الأسس المهمة التي تحت عليها رسائل النور، وجزء من قوانين الفطرة التي فطر الخلق عليه، ذلك لأن هذه الدنيا "دار حكمة" أي كل ما فيها مقرون بحكمة، حيث قد "وضع الله سبحانه وتعالى في وجود الأشياء تدرجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم، وذلك بمقتضى اسمه "الحكيم"، فالذي لا يتأنى في حركاته، إما انه يظفر الدرجات فيسقط، أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود."²⁴. بمعنى: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

²² الكلمات ص 872

²³ النعمات ص 160

²⁴ المكتوبات ص 362

ومن هنا يعد الأستاذ النورسي "الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقعي للصانع الجليل - الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال - فرض وواجب.."²⁵

رابعاً: عدم حصر الحق في المسلك بذاته:

إن حصر الحق في المسلك بذاته يعني أن يرى المرء نفسه في صواب دائماً ويجعل المسالك الأخرى خاطئة أو باطلة. فيصفه الأستاذ النورسي بأنه "مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطئة هذا، منبع ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعداً عن روح الإسلام ما شق من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم"²⁶.

ولأجل تلافي هذا الفكر لابد من مراعاة الأسس الآتية بلوغاً إلى الإخلاص:

1 - أن يعمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

2 - يل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

3- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي

²⁵ صيقل الإسلام/محاكمات - ص 43

²⁶ صيقل الإسلام/السانحات - ص 350

فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" (بمعنى أنه حصر الحق في مسلكه) والذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

4- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية..²⁷.

خامساً: الاستغناء عن الآخرين مادياً ومعنوياً:

يقول الأستاذ النورسي: "نحن مكفون باتباع الأنبياء - عليهم السلام - في نشر الحق وتبليغه، وإن القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق انهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم: (إن أجري إلا على الله)²⁸. ولهذا يتحرز قلري رسائل النور عن ترقب أي أجر مادي أو معنوي إلا من الله.

ولعل السؤال والجواب الآتي يغني عن أي إيضاح آخر. فقد سئل الأستاذ النورسي هذا السؤال:

" لم لا تلتفت إلى قوى على جانب عظيم من الأهمية، تستطيع ان تعينك في أمورك، فتخالف جميع الناس. بل تظهر استغناء عنهم؟".

ثم لم ترفض بشدة مقامات معنوية رفيعة يجدرك محبوبك الخواص أهلاً لها، فتجنبها بقوة في حين يتمناها الناس ويطلبونها..

الجواب: إن أهل الإيمان - في الوقت الحاضر - محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جلية نزيهة بحيث لا يمكن أن تكون وسيلة للوصول إلى شيء، ولا تابعة لأي شيء كان، ولا سلماً للوصول إلى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو أي قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تتال منها. فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة النزيهة لترشدتهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة.. فانطلاقاً من هذه النقطة فإن رسائل النور لا تعبأ بالذين يمدون لها يد المعاونة سواء من داخل البلاد أو خارجها ولا تهتم بما يملكونه من قوى ذات أهمية بل ولا تبحث عنهم ولا

²⁷ اللعة العشرون ص 229

²⁸ المكتوبات ص 16

تتبعهم. وذلك لكي لا تكون في نظر المسلمين عامة وسيلة للوصول إلى غايات دنيوية ولن تكون إلا وسيلة خالصة للحياة الخالدة الباقية. لذا فهي بحقيقتها القرآنية الفائقة تتمكن من إزالة الشبهات والريوب المهاجمة على الإيمان.

* أما المقامات النورانية والمراتب الأخروية التي هي درجات معنوية مقبولة لدى أهل الحقيقة قاطبة بل يرغبون فيها، ولا ضرر منها.. فأقول:

فكما أن شخصاً غيوراً يضحّي بنفسه إنفاذاً لحياة أصدقائه، كذلك لأجل الحفاظ على الحياة الأبدية للمؤمنين من صولة أعداء خطرين، أضحى إذا لزم الأمر، وهو يلزم لا بتلك المقامات التي لا أستحقها، بل أيضاً بمقامات حقيقية لحياة أبدية. ذلك ما تعلمته من رسائل النور، ألا وهو **الشفقة على الخلق**.

نعم! إن الأمر يقتضي هكذا في كل وقت، ولا سيما في هذا الوقت، وبخاصة عند استيلاء الغفلة التي أنشأتها الضلالة، في خضم هيمنة التيارات السياسية والآراء الفلسفية، وفي عصر كعصرنا هذا الذي هاج فيه الغرور والإعجاب بالنفس، تحاول المقامات الكبيرة دائماً أن تجعل كل شيء أداة طيعة لها، وتستغل كل وسيلة في سبيل غاياتها، حتى تجعل مقدراتها وسيلة لبلوغ مناصب دنيوية...

وهكذا فلئن كان قبول المقامات المعنوية يفيد الشخص والمقام فائدة واحدة فإنه يلحق ألف ضرر وضرر بالناس عامة وبالحقائق نفسها بما يصيبها من كساد بسبب الشبهات الواردة.

حاصل الكلام: إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية.

لذا أرجح الاتصاف بخدمة القرآن والإيمان، على نيل المقامات...²⁹

سادساً: الحفاظ على قداسة الدين الذي هو ملك الجميع:

نعم، الدين شيء ظاهر ومقدس. لا بد أن يبقى صافياً طاهراً بعيداً عن التحيز والحقن والمذهبية والطائفية وغيرها، كي ينهل منه الجميع. ولئلا يتوهما. "أن حقائق القرآن المقدسة - التي لا ينبغي أن تستغل لأي شيء

²⁹ الملاحق - أمير داغ 1/265-267

كان - قد أستغلت في ساحة الدعاية... علماً أن أفراد الأمة بجميع طبقاتها.. المعارضين منهم أو المؤيدين، الموظفين منهم أو العامة.. جميعهم لهم حصة في تلك الحقائق القرآنية وهم بحاجة إليها..³⁰، "ولأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أي تردد، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلمين، يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها، بل بمنافعهم ومقاماتهم الأخروية أيضاً في سبيل منافع أهل الإيمان الأخروية. فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصاً نقياً بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانية، بالحقائق، نيلاً لرضا الله، وعشقا للحقيقة، وشوقاً إلى الحق، والسادد الذي في الخدمة القرآنية، وذلك ليطمئن كل من يحتاج إلى الإيمان اطمئناناً تاماً دون حاجة إلى إيراد الأدلة له، ولكي لا يقول: "إنه يخدعنا ويستميلنا" وليعلم أن الحقيقة قوية بذاتها إلى حد لا يمكن أن تنتزع بأي حال من الأحوال، ولا تكون أداة طيعة لأي شيء كان.. فيقوى إيمانه عندئذ ويقول: "حقاً إن ذلك الدرس الإيماني هو عين الحقيقة" وتمحي شبهاته ووساوسه"³¹.

³⁰ الشعاعات ص 424

³¹ الملاحق - ملحق قسطنوني، ص 225